علم الآثار بنظرته المادية وصل إلى طريق مسدود في تفسير البعد اللامادي للآثار

اللغز في تراث الإنسان

هل مفتاح الآثار يكمن بالتنقيب عن الإنسان أو في الإنسان نفسه؟!

هل أثارك يوماً موقع أثري فأعاد إليك ذكريات الماضي المنسية وكأنك تشاهد فيلماً على شاشة الذاكرة أو كمن يصحو من حلم كاشف؟ ما تأثير تلك اللحظات الغامضة عليك كالحلم مثلاً عند الاستيقاظ؟ وهل تحاول تفادي نسيانها فتقوم بتدوينها على الأثر؟ هل سبق أن تفاعلت نفسك عند استماعك إلى قطعة موسيقية معينة ملهمة تتهادى أنغامها عبر الأثير؟ أو ربما بكل بساطة لدى إصغائك إلى حكمة مأثورة؟!

آثر ذي أثير..

يقال عند العرب: «هو صديقي الأثير»، أو «هو أثيري» أي صديقي المفضل! كما تتحدث بعض الجماعات (بلغة الأساطير) عند وصفهم لذلك « السيف المأثور»...! هنا لا بد من التوقف قليلاً للتذكير بما ورد في بعض المعاجم العربية حول تفسير لكلمة (أثر ، كجذر لغوي) وبعض من مشتقاتها المتداولة. فالأثر يقال أن له أربعة معان: النتيجة وهي الحاصل من الشيء، والعلامة، والخبر، وما يترتب على الشيء أو ما بقي منه. فيأتي علم الآثار اليوم ليفسر الماضي بواسطة البقايا التي خلفها الإنسان باحثاً في بقايا العمران ودلالتها والمخلفات الأثرية القديمة.

أما الأثير: فهو في الكيمياء، سائل لا لون له، طيار سريع الالتهاب يستخدم في الطب. في الطبيعة، الأثير مادة لا تقع تحت الوزن تتخلل الأجسام ويكون امتداد الصوت والحرارة الكهربائية بواسطة تماوجاتها. أما عند الأقدمين فالأثير: هو القلك التاسع ...!

فما حقيقة تلك الأفلاك الأخرى؟...

ألم تسمعوا عظماء الموسيقيين يتحدثون عن «موسيقى الأفلاك الأثيرية ؟

أليس الإنسان نفسه «معزوفة خالدة» في تلك القيثارة الكونية فهل من آذان تسمع ؟!

ومن التراب إلى التراث نعود

فهل هناك من علاقة واضحة تربط ما بين (التراب - الأرض) و (الأثر - الإرث - التراث)؟ ألسنا نرث ما زرعناه بأنفسنا على الأرض سابقاً.. فقد صرنا اليوم نعلم أن كل أثر للإنسان مهما يكن (على ما يحويه من قيمة علمية ومعنوية) هو إرث للإنسانية جمعاء أو ما بتنا ندعوه

بقلم ناصر نويهض
www.esoteric-lebanon.org

بالتراث العالمي. إذ أن آثار الإنسان المادية (كالنُصب الأثرية الضخمة، أو النقوش الصغيرة المحفورة في الصخور، أو المشاهد المرسومة على جدران المغاور.. الخ) تعود إلى بضعة آلاف من السنين، مع أن بعضها يمتد إلى ما قبل التاريخ المدون الذي نعرفه حتى الآن. لا ريب فإن دراسة الآثار المكتشفة قدمت للبشرية كنزاً هائلاً من المعلومات القيّمة عن تاريخ تلك الحضارات المندثرة، لكن رغم ذلك تبقى مجتمعةً وعلى أهميتها البالغة تعتبر بمثابة النقطة في البحر، أو كقمة جبل الجليد الذي يخفي أكثر بكثير مما نراه عند التنقيب في الأعماق. هذا إذا ما قورنت تلك المعلومات بالعمر الحقيقي للإنسان على الأرض وبما يكون قد تركه من أثر عميق في مختلف نواحي الحياة المادية، النفسية، العقلية والروحية على مر العصور.

الدورات الزمنية والحضارات

إن منهجية التأريخ القائمة على علم الآثار التقليدي قد باءت بالفشل.. وتحديداً في حلّ ألغاز مادية مكتشفة لم يستطع العلم فهمها إلى اليوم. فقد تمّ اكتشاف العديد من الآثار الغامضة (غامضة للعلم المادي فقط كونها لا تندرج في مراحل وحقبات ما قبل التاريخ الذي صنّفه العلم نفسه) وبالتالي فإن علم الآثار الحالي يصنفها كمكتشفات خارج مكانها أو كما يدعوها البعض بالإنكليزية «Out-of-place artifacts» وهي تشير بوضوح إلى وجود سابق لحضارات متقدمة علمياً وتكنولوجياً على كل ما نعرفه حتى اليوم. ولعل دراسة تلك الآثار(الغريبة حتى الآن) بعمق وموضوعية سيؤكد لاحقاً للعلم الأكاديمي بما لا يقبل الشك حقيقة ما ذكر في ميثولوجيا الأزمنة وأساطير الشعوب أن التاريخ لا يسير في خط أحادي فقط(Linear) كما يظنه العلم اليوم، بل يسير في دورات تزامنية ((Cyclic كما سنبيّن لاحقاً.

نستعرض الآن بعض ما تيسّر ترجمته من هذه الآثار الهامة، من مجلة أتلنتس رايزنغ عدد 5 1995 (Atlantis Rising) مقال «Top Ten Out-of-place Artifacts». علماً أن الكثير غيرها اكتشف ويكتشف في بلدان أخرى يضيق المجال لحصرها جميعاً هنا:

بطارية بابل

هي جرار وأكواب فخارية «Baffling Batteries of Babylon» (يتخللها النحاس ومواد أخرى) يمكنها إنتاج كهرباء «كالبطاريات الكهربائية» وقد عثر عليها في مواقع أثرية في العراق يعود بعضها إلى الفترة الفارسية بين (248 ق.م.- 226 ب.م.) والبعض الآخر منها يعود إلى المرحلة السومرية 2500 ق.م. وهي محفوظة اليوم في متحف بغداد بعد أن أثارت اهتمام علماء كثر قاموا بدراستها مطولاً.

الألواح الحجرية

مجموعة من حوالي عشرين ألف قطعة من الألواح الحجرية الصغيرة «The incredible stone of Dr. Cabrera» معظمها من الغرانيت البركاني الصلب الذي يصعب الحفر عليه. يملك هذه المجموعة أحد الأطباء في البيرو.

تتميز القطع بكونها مزدانة بمزيج من المشاهد الغريبة إذ يعود اكتشاف بعضها إلى العام 1525 من قبل البعثات الإسبانية في البيرو، وهي تُظهر معالجات طبية وجراحية معقدة كنقل الدم، التخدير بوخز الأبر، عمليات جراحية في الرئة والكلى والقلب وعملية زرع للقلب.. كذلك رسوم محفورة لعملية غريبة فعلاً تبدو كزرع للدماغ!

أنابيب كهربائية

«The strange electron tubes from Dendera» مشاهد تصويرية غريبة موجودة داخل معبد قديم في دندرة (مصر). فعلى بعض جدرانه في غرفة رقم 17 تبدو رسوم لكهنة مصريين يقومون بتشغيل أنابيب «كهربائية» (شبيهة بتلك التي كانت تستخدم في جهاز التلفاز القديم) وتبدو تلك الأنابيب موصولة عند أطرافها بواسطة شريط ما إلى علبة كبيرة. وفي مشاهد أخرى عثر عليها داخل المحراب الأقدس للمعبد يبدو فيها رجال ونساء يجلسون معاً تحت هذه الأنابيب رافعين أيديهم بوضعية تشير إلى تلقيهم طاقة معينة.

آلة برونزية خشبية

«An out-of-place computer from Antikythera» بقايا آلة خشبية - برونزية يحتوي داخلها على مجموعة دواليب «ميكانيكية» كتلك الموجودة في الساعات الحديثة. وقد عثر عليها غطاسون قرب شاطئ جزيرة يونانية عام 1900 وأودعت حينها في المتحف الوطني في أثينا. وعند تفحصها مجدداً عام 1958 من قبل علماء آثار لإعادة ترميمها تبين أنها آلة قياس غريبة إذ يمكنها تحديد مواقع الشمس والقمر عبر الدواليب التي تتحرك إلى الأمام أو الوراء بسهولة وبسرعات مختلفة.. وكأن ذلك أشبه بنظام تكنولوجي متقدم لحساب المواقع الفلكية للكواكب في الحاضر والماضي والمستقبل.

الطائر المجهول

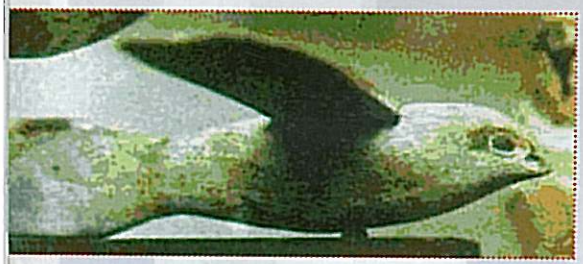

«Flight in ancient Egypt» شيء خفيف غريب ذو أجنحة عثر عليه عام 1898 في أحد القبور في شمال أهرام سقارة (مصر) ويعود تاريخه لحوالي 200 ق.م. وقد أودع حينها في متحف القاهرة تحت خانة (قطع مختلفة - غير مصنفة) إذ لم تكن الطائرات المعروفة اليوم قد ظهرت بعد في العالم. وبالفعل، بعد حوالي سبعين عاماً تبيّن لأحد علماء الآثار المصريين أن قطعة سقارة الصغيرة تلك (والتي تزن فقط حوالي 14 غرام) تحمل في تصميمها ما يشبه تماماً طائرات اليوم من ناحية انسيابية الأجنحة والذيل لجهة مقاومة الهواء.

ذهب ودلالات غريبة

«A jet from South America» مجموعة قطع ذهبية أثرية (تلبس كقلادة حول العنق) تملكها الحكومة الكولومبية وتعود إلى فترة ما بين 500 و 800 ب.م. أي الفترة ما

قبل حضارة الإنكا. وفي العام 1969 عند دراسة قطعة هامة من بين تلك المجموعة من قبل اختصاصيين أميركيين تبين أنها تحمل رسماً لا يشبه أياً من المخلوقات المعروفة آنذاك أو اليوم، بل يبدو التصميم بتفاصيله الصغيرة يشابه الميكانيكي وكأن التصميم يخصّ الطائرات الحديثة بأجنحتها المثلثة و الحادة.. مع علامة مميزة على جوانبها لتبقى لغزاً آخر.

جمجمة الكريستال

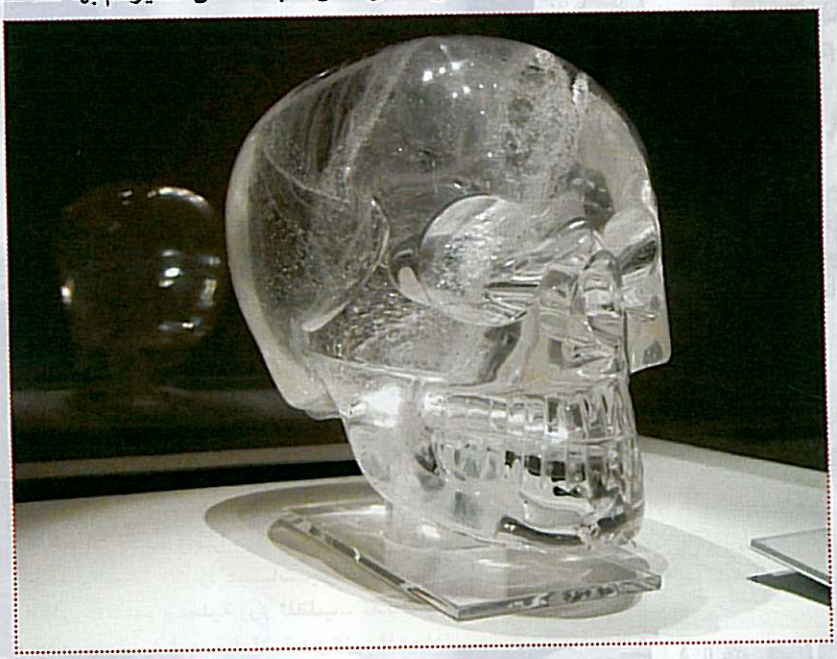

«Crystal Skull from Atantis» جمجمة من الكريستال (قطعة واحدة فريدة من الكوارتز الصافي) بحجم يماثل رأس فتى مراهق وهي تحمل تفاصيل دقيقة جداً لجمجمة بشرية عادية. عثر على هذه القطعة الغامضة في العام 1927 على رأس معبد مهدم لمدينة قديمة لشعب المايا في هندوراس البريطانية أو بليز حالياً. والمهم في الأمر أنه و بعد دراستها بعناية في مختبرات علمية عدة من بينها Hewlett-Packard تبين أنها حفرت على ما يبدو بطريقة تكنولوجية متقدمة جداً وغير معروفة إطلاقاً. إذ لا يمكن العلم الحديث بكل امكانياته المتوفرة حالياً أن يقدم شيئاً مثيلاً لها (علماً أن لا خدوش عليها) ولا يمكن الحصول على مشابه لها... فحتى لو حاولنا أن نعمل الحفر المبهم ذلك بواسطة المعالجة المكررة بالمياه وكريستال السيليكون فإن ذلك قد يلزمنا نحو (300 عام) من العمل المتواصل عليها. وقد اعترف لاحقاً أحد علماء الكريستاليات بعجزه عن شرح علمي لهذه القطعة معلقاً بقوله الغريب: أن تلك القطعة يجب أن لا تكون موجودة !

علم الآثار والطريق المسدود

إن ما ذكرناه حول هذه الدلائل البالغة الأهمية قد لا يعجب بعض العلماء التقليديين أو المشككين من الناس. لكن لا بد لنا من تذكيرهم بها للتأكد بأنفسهم من حقيقة الأمر. إذ يبدو واضحاً أن علم الآثار اليوم بمنظاره المادي قد وصل فعلاً إلى حائط مسدود في تفسير هذا الموضوع المعقد والمبهم لديه! فهو لا يزال يتجاهل الناحية اللامنظورة والتي تشكل الأساس والجواب عن كل ما يتساءل عنه العقل المنطقي في تحليله وربطه للأمور بشموليتها. فرغم اعتراف العلم المادي بوجود هالة أثيرية تحيط وتتخلل كل الأشياء بعدما نجح بتصويرها العالم الروسي كيرليان في ستينيات القرن الماضي، ظل البحث في منهجية علم الآثار قائماً في نطاق المادة المنظورة فقط دون ربطها في سياقها الطبيعي اللامنظور.

علوم باطن الإنسان - الإيزوتيريك قدمت معارف عديدة حول الهالة الأثيرية وطبقة الأثير، علّ العلم يتمكن لاحقاً من فهم أمور كثيرة لا تزال غامضة عليه عندما يربط الظواهر المادية بأساساتها اللامادية الخافية...

من جهة أخرى، وكمقاربة لغوية للموضوع عبر علم اشتقاق الكلام Etymology تأتي الكلمة الإنكليزية Archaeology أو Archeology والتي تعني علم الآثار، مركبة من Arch + ae/ Arch: e + ology الأول أو الأساس في اللغة اليونانية و مشتقة من Archaic بمعنى قديم و ology مشتقة من اليونانية Logos بمعنى علم / فن. أما ae أو e الواردة في منتصف الكلمة، فقد نسبها الأقدمون إلى اختصار عنصر الأثير AEther أو Ether . أي أن علم آثار في حقبات ما قبل التاريخ المكتوب هو علم اثار المادة الأولى المكونة لكل شيء Prima Materia وهي مادة أثيرية (لامادية). وكأن هذا التفسير يشير ضمناً إلى مفتاح اللغز في الكلمة نفسها...

طبعاً علم الآثار الذي نعرفه اليوم لا علاقة له حالياً بدراسة مادة الأثير، خاصة وأنها مادة لامرئية وغير ملموسة بالنسبة إلى الأدوات المتوفرة لدى العلم الحالي رغم إقراره بوجود ذلك الحقل الأثيري الذي يتخلل ويحيط بكل الأشياء كطاقة كهرومغناطيسية. فهل إذا دُرست تلك المادة الأولية بعمق وانفتاح تأخذنا إلى جذور التاريخ غير المكتوب... مثلما أخذتنا الخارطة الجينية إلى حقائق إنسانية خافية؟!

العنصر الخامس.. الأثير

لو أعدنا النظر للمكان من حولنا بكل تجرّد (ومن وجهة مادية بحتة) لتبين لنا بوضوح أنه أثيري المنطلق ومكوّن من عناصر الطبيعة الأساسية وهي الأرض - الماء - النار - الهواء - الأثير.. وهذا الأخير أو «العنصر الخامس» كان قد تطرق إلى ذكره الحكماء وبعض الفلاسفة القدماء وهو ما سيكتشفه العلم مجدداً لينطلق من أبعاد المادة إلى اللامادة...

هذا العنصر الأثيري كان يعتبر لدى الفلاسفة الرواقيين العنصر الخامس، وهو في الحقيقة العنصر-الأساس أو الجذر بالنسبة للعناصر الأربعة التي يعرفها العلم اليوم، إذ كانت الشعوب الهندوسية والإغريقية القديمة تطلق تسمياتها للآلهة

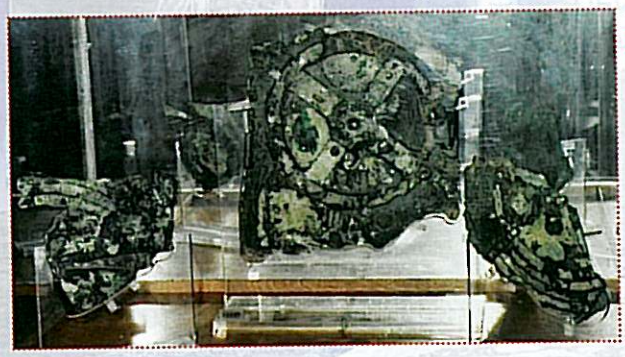

تبعاً لدرجاتها المتعددة في طبقات الأثير السبعة...!

والجدير ذكره عندهم أيضاً أن «الأثير العلوي» كان يعتبر بخاصيته كأحد العناصر الكونية السبعة.. كما تتحدث النصوص الهندية القديمة والمقدسة كالفيدا والأوبانشاد وغيرها عن الكون وعملية الخلق فتذكر كيفية إدارك الوجود من الأعالي... فإلى الأثير بدرجاته السبع ومن الأثير إلى الهواء ومن الهواء إلى (الحرارة أو النار) ومن النار إلى الماء ومن الماء إلى التراب مع كل ما يتواجد فيها على الأرض !

أما أثر الإنسان اللامادي بما يحتويه (من مشاعر و أفكار وما علاها..) فلن نتناوله هنا رغم أنه يندرج في تكوين ذاكرة الإنسان على أنواعها. فكل حدث (مادي و لامادي) يسجل في ذاكرة الوعي الباطني للفرد و للجماعات على السواء والتي هي كلّ بدورها على اتصال دائم بالذاكرة الكونية - الذاكرة الأم (Akasha).

الذاكرة الكونية

فإذا تناولنا فقط الناحية المادية للأثر في كل ما وصلنا من شعوب تلك الحضارات القديمة عبر ما دونته بنفسها بوسائل متنوعة بدءاً بالرموز والأشكال والعمران وصولاً إلى اللغة والكتابة.. لتبيّن لنا بوضوح أن التاريخ المكتوب (أبعده ستة آلاف سنة إلى الوراء حتى اليوم) هو كالطفل الصغير يقف حائراً وعاجزاً تماماً أمام تلك المكتشفات الأثرية الغامضة وبالتالي تفسير حقيقة وجود سابق لحضارات متقدمة مندثرة.

أما متى بدأ العلم ربط الظواهر المادية بأساساتها الأثيرية الباطنية عبر تقنيات «علم الذبذبة».. التي منها يتكون الأثير عندها حتماً سيتضح له الكثير من الأمور الغامضة (المنسية).. فالذاكرة الكونية (أو الأكاشا كما تعرف في كتابات الشرق الأقصى) تشرحها علوم باطن الإنسان - الإيزوتيريك في مؤلفها «تعرف إلى ذاكرتك» بقلم ج.ب.م. « هي السجل الكوني الذي يحتفظ بتاريخ النظام الشمسي والأحداث الكونية وأسرار الخليقة من بداية الخلق وحتى نهاية الوجود!... فالذاكرة الكونية.. أشبه بمحيط لامتناه الأطراف... كل قطرة فيه تمثّل وعي إنسان ما..! فهي السجل الكوني الذي يحوي إنجازات بشرية الماضي والحاضر وما ينتظر تحقيقه في المستقبل... إنجازات كل شخص بمفرده ومدى تطوّره أو تخلّفه، وإنجازات الحضارات التي شهدتها الأرض منذ نشوئها. كل ذلك وأكثر بتفاصيل الحقيقة الساطعة التي لا تغفل شيئاً، ولا يسهو عن بالها أمر ما!»..

الذبذبة والآثار

«الزمن وحدة»... و«المعرفة تذكّر»... مفاهيم عميقة ومترابطة، لم أستوعب أبعاد معانيها إلا بعدما شرحها لي مطولاً عالم آثار إيزوتيريكي، فقد أثارني منطقه السامي للأمور ومعرفته المعمقة للإنسان بأبعاده الكونية حتى تكاد تقول أن «سيفه يأثرك» بحقائقه القاطعة وببساطة وتواضع العارفين الحكماء! فالأثير أسرع من الضوء (في علم الذبذبة)! والجسم الأثيري (الهالة الأثيرية) هو في تفاعل ذبذبي دائم ومباشر بالأثير وكل شيء على صلة وثيقة بما يحفظ في تلك الطبقة الخاصة بسجلات المعرفة الكونية الكائنة (أثيرياً) في الطبقات العليا من الفضاء! وبالطبع لفهم علم الأثير وبالتالي أي أثر (مهما كان غامضاً) لابد من تلك المعرفة الداخلية العميقة لعلم الذبذبة كجزء لا يتجزأ من علم الإنسان الشامل.. «فعالم الآثار الباطني إن صحت تسميته يبحث في رقائق وعيه الباطني... ينقب عن ماضيه لفهم الحاضر في ضوء المستقبل.»

هذا بعضٌ من جملة حقائق خافية تكشف عنها علوم الإيزوتيريك كونها معنية بالإنسان، بشموليته وبتطور وعيه على جميع الأصعدة.

أختم بما ورد في «كتاب الإنسان» بقلم مجموعة من المعلمين الحكماء، سلسلة علوم الإيزوتيريك - منشورات أصدقاء المعرفة البيضاء: «إن الحقيقة تكمن في داخل الإنسان، ومن بحث عنها في نفسه وجدها. إنها مجموعة أسرار وخفايا في النفس، من وجدها وجد كل شيء، إنها مفاتيح وألغاز في النفس، من وجدها عرف نفسه، حقق ذاته، كشف الحقيقة ووجد المفاتيح التي تفتح باب المعرفة، وبالتالي بوابة الكمال..».